باب قول الله تعالى: أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ

نقرأ في كتاب التوحيد، اقرأ باب قوله تعالى: { أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا } يمكن أنها الباب الثاني عشر أو الثالث عشر نعم { أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا سر، سي دسب البوحيد، افرا باب فوله تعالى: { اينسردونَ مَا لا يَخْلَقُ شَيْئًا } يمكن انها الباب الثاني عشر او الثالث عشر نعم { أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلَقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَسْطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا } وقوله: { وَالْذِينَ تَدْغُونَ مِنْ دُونِهِ مَا لَا يَخْلَقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَسْطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا } وقوله: { وَالْآيِنِ تَدْغُونَ مِنْ دُونِهِ مَا لَا يَخْلَقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُ اللّهُ عَلَيْهُمْ ؟ مَنْ الْسُوعِحِ عَنْ أَنس قالَ: { شُجَّ النَّبِيِّ وَسُلم الله عليه وسلم يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأُسهُ مِنْ اللّهُ عَلَيْهُمْ ؟ فَمَر رَضِيَ اللّهُ عَلَيْهُمْ } فَيَا اللّهُ عَلَيْ وَلَالًا وَفُلَالًا، بَعْدَمَا يَقُولُ أَنلُهُ عَنْهُمَا } أَنَّهُ سَمِعَ اللّهُ عَلَي صَلْوَلَ اللّهُ عَلَي مَنْ الْفُرْ مَنْ اللّهُ عَلَي مَنْ الْفُرْ مَنْ أَلَّا عُمْر رَضِيَ اللّهُ عَلَيْهُولُ: سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَرِيهُ إِنَّا وَلَكُ اللّهُ عَلْمُ وَلَالًا وَفُلَالًا، بَعْدَمُ ا يَقُولُ: سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَرِيهً الْكُمْرِ شَيْءٌ } } . وَفِيهِ عَنْ الْعَرْ فَلْكُمْ وَلْكُورِثُ مِنْ اللّهُ عَلَيْدُ وَلَالْوَلْ عَلْمَ وَلَاللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَنْرَلُقُ اللّهُ عَنْمُ وَلِولُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْ وَلَكُ مِنْ اللّهُ عَلَيْهُ وَلُولُورِثُ وَلَاللّهُ عَلَيْدُ وَالْدُورُ عَشِيرَتُكَ الْأَقْرَينَ } وَالْكُورُ مَنْ عَلْكُمْ مِنْ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهُ وَلَاللّهُ عَنْكُمْ مِنْ اللّهِ صَلْعُلُ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَنْكُمْ مِنْ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَولُ عَلَى مَاللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَنْكُ مِنْ اللّهُ مَنْكُمْ مَنْ اللّهِ مَلْكُمْ أَلُو اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَولُومُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَلْكُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَاللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْهُ مِنْ اَللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أَغْنِي عَنْكِ مِنْ اَللَّهِ شَيْئًا } . في هذا البابِ عقده على هذه الآية، باب قول الله تعالى: { اُيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلَقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ } الآية يدخل فيها كل المخلوقات، يعني كيف يجعلون لله شركاء، وأولئك الشركاء لا يملكون لأنفسهم شيئا، فضلا عن أَن يملكوا لغيرهُم؟ لا يخلقون شيئًا؛ بل هم مخلوقون فكيف يجعلُونهم شركًاء لله تعالىً في ملكه، وفي تَصرفه؟ لاً شك أن ذلكَ اعتراضُ وتنقص لله تعالى ورفع للمخلوق إلى رتبة الخالق، ودعاء له، مع الله سبحانه وتِعالى فييدخل في ذلك الأنبياء والملائكة، فكلهم لم يَخلقوا شيئا، وكلهم مخلوقون، وكلهم لا يستطيعون نصر أنفسهم، وإنما يطلبون النصر من الله تعالى: { أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرَالً} لا يستطيعُون نصركم، ولا يستطيعون نصر أنفسهم، وإنما يحتاجون إلى الله، ويطلبون الله تعالى ويطلبون النصر منه؛ لقوله تعالى: { وَمَا النَّصْرُ إِلَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ } { إِنْ تتْصُرُوا اللَّهَ يَتْصُرْكُمْ } . يدخل في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما في الآيات، ما صرح بمدلول الآية، أو بمراده بهذا الباب، تقدَيره الذي قدره وأرادُه، أن يقول: باب بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه، ولا لغيره ضرا ولا نفعا، وإذا كان ِهكذا فكيف يطلب؟ وكيف يسأل؟ وإذا كانت هذه حالته فكيف بمن هو دونه؟ فإن الجميع كلهم لا يملكون شيئًا، ولا يخلقون، وهم مخلوقون. ودل على ذلك أيضا من القرآن آيات كثيرة، منها قوله - تعالى- في سورة الأعراف: { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } يعني إلا ما شاءه الله لي، لا أملك لنفسي، إذا كان كذلك فكيف تدعونه أيها المشركون؟ وكيف تقولون أعطنا ونحو ذلك؟ يسمع كَثير منهم يدعونه، ذكرنا أن بعضهم ينادونه بـ يا رسول الله، ونحو ذلك، في مرة ونحن خارجون من الحرم المكي كان عند الباب زحام شديد، فهناك ناس يدخلون، وآخرون يخرجون، فحصل زحام، سمعت واحدا صرخ بقوله: يا رسول الله، في هذه الحالة الحرجة، كأنه يقول: فرج عني يا رسول الله ما أنا فيه من الزحام، حيث إن هناك من يزحمه أمامه، ومن يزحمه إلى جانبيه، نسي أو غفل أن يقول: يا ربي أو يا الله، وكذلك أيضا سمع بعضِ الشباب واحدا في نفس الحرم ِوهو قد انتهى من الطواف، وإذا هو يقول: مدد يا رسول الله هكذا؛ فعند ذلك أنكر عليه، َّ وَيَ الله وَلَدُكُ ايضًا شَمَّع بَكِنِ السَّبَابِ وَيَحَدَا فِي قَلَسُ الْحَرَا وَهُو قَدَ اللَّهِ أَحَدًا } كثير منهم يدعون النبي - صلى الله عليه وسلم- ويدعون غيره من الأولياء، ومن عقيدة الرافضة التعلق على الخمسة الذي نظمها بعضهم بقوله: لي خمسـة أطفـــي بهم نـار الجحـيم الحاطـــمة المصــطفى والمجـتبى وابنـاهمـا والفاطمــــة هؤلاء يعلقون عليهم آمالهم المصطفى والمجتبى -يعني الرسول- وعلي وابناهما الحسن والحسين وفاطمة فهؤلاء يدعونهم من دون الله، والوقائع كثيرة لمثل هؤلاء المشركين، فالله تعالى قال لنبيه: { قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرَّا وَلَا رَشَدًا } لا أملك لكم كلكم ضرًا ولا رشدا { قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدُ وَلَنْ أَبِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا } إن أرادني الله بضر فلا يكشفه غيره، وإن أرادني برحمة فلا يردها غيره: { إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرِّ هَلْ هُنَّ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدُ وَلَنْ أَبِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا } إن أرادني الله بضر فلا يكشفه غيره، وإن أرادني برحمة فلا يردها غيره: { إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرِّ هَلًا هُنَّ كَاشِفَاتُ صُرٍّهِ } فإذا كان هو عليه السلام لا يملك ليفسه، فكيف يملك لغيره؟ وإذا كان كذلك فكيف بمن سواه؟! الآية الثانيةَ: في سورة فاطر قول الله تعالى: { وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ } القطمير: هو قشرة نواة التمر، إذا أخرجت النواة وجدتِ عليها قشرة رقيقة خفيفة تنفخها؛ فتطير، فهل هذه تسمى ملكا من ملكها؟ أي لا تملك هذِّه المعبودات كلها من قطمير -حِية أو ميِتة- { إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ } يعنِي مهما صرختم ومهما ناديتموهم: { وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ } لو قُدِر أنهم يسمعون - سواء كإنوا أحياء أو أمواتا- َما استجابوا لكم: ِ{ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ } بتبرءون منكم ويقولون: { مَا كُنْتُمْ إِليَّانَا تِعْبُدُون فَكَفَى بِاللَّهِ شَهيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ } نحن في شأن وأنتم في شأن، تدعوننا ونحن أموات، ونجن غائبون عنكم. { وَمَنْ أَصَلَّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اَللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيَبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } لا يستجيبون لهم إلى يوم الْقيامة: { وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ } غافلون عنكم وعن دعائكم، أِموات قد ماتوًا، وقد انتقلوا إلى الدار اُلآخرة، اُو إلى حساب الآخرة، مشغولون بأنفسهم، ولو كانوا أنبياء، ولو كَانوا أُولياء: { وَإِذَا خُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ } فهكذا قوله: { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ } يدخل في ذلك الأنبياء، والأولياء، والملائكة، والشهداء، والصالحون، ونحوهم؛ فلا يجوز دعًاء أحد ًمن هؤلاء؛ وإنما الذي يدعى هو الله وحده. الأحاديث صريحة في أن النبي صلى الَّله ُعليه وَّسلم لا يملَّك شيئا. في الحديث الأول: قصة أحد وصل إليه بعض المشركين فشجوه أي شجوه في وجنته، جرح في وجنته، وكسرت ٍرباعيته إحدى أسنانه، وهشمت الِبيضة على رأسه -كان على رأسه بيضة يعني: خوذة: وهي المغفر؛ فهشمت، وسقطت حلقة من حلقات المغفر في رأسه، واجتذبها بعض الصحابة بأسنانه حتى نضرت ثنية من ثناياه ونزف الدم، وأحرقت فاطمة قطعة حصير وأخذت رماده وضمدته على ذلك الجرح الذي في وجهه، والذي في رأسه، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: { كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ } يعنِي استغرب أنهم يفلحون، ما أفلحوا، بل سلط الله تعالى عَلَيْهِم، وَماتُ منْهِمَ من مات، وعُذبٌ من عُذبٌ، وَهدى اللهُ تعالى بعضهم. هاهِّناُ: { لَيْسَ لُّكَ مِنَ الْأَهْر شَيْءٌ } الأَمر ليس إليك، وإنما هو إلى الله، فلا تستُغربُ ذلك، فالله تعالى هو الذي يسلّط مَنْ يشاء على مَنْ يشاء، فقد تَسَلّطَ الكفار قديما مَن اليهَود على أنبيائهم، وقَتلُوا الكثير من الأنبياء، وآخرُ من قتلوا بٍحيى بن زكريا قتلٍ لرضا امرأة بغيِّ، فكيف لا يتسلطون عليك؟! ولكن العاقبة لك، ولمن تبعك. هذا الآية: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَبِيْءٌ } } تبين أنه لا يجوز أن يُسْأَلَ شيئا من أمر الآخرة، فلا تسألوه مغفرة، ولا تسألوه جنة، ولا تسألوه نجاة، ولا تسألوه رحمة، بل اعبدوا الله تعالى، واَسألوه وحده، ولا ْتَسَأَلُوا النَّبِي صَلَى الله عليه وسلمَ، ولا غيره. يقول الُحفظَي وكـلَ مـن دعًـا معـه أحـدا أشـرك بالله ولَو محمـــدا أماً القصة الثانية: فكان المشركون بمكة قد تسلطوا على بعض المستضَّعَفِين، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو للمستضعفين في قنوته ٍفي صلاة الفِجر، ويدعو على أولئك المتسلطين، فإذا رفع رأسه من الركوع في اِلركعة الثانية بعدما يقول: سمع الله لمِن حمده، ويقول: ربنا ولك الحمد يبدأ يلعن بعض اِولئك الذين تسلطوا، ويدعو للمستضعفين؛ فيقول: { اللهم أنجِ المستضعفِين من المؤمِنين، اللهم أنجِ الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياشٍ بن أبي ربيعة } كانوا من المستضعفين، ولم يتمكنواً من الهجرة. الوليد بنِّ الوليد هو أخوَ خالَد بن الوليد آمن قديَما، ولكن أسروه ومنعوه من الهجرة، ومع أنه يتمني ذلك، وكذلك: عياش بن أبي رِبيعةِ وسلمة بن هشام وغيره من المستضعفين. ثم يقول: { اللهم العن فلانا وفلانا } في بعض الِروايات سَمَّى بعضا من أكابرهم: الحارث بن هشام -ِهو أخو أبي جهل - وكان مِمن اشِتد هِجاؤه للمسلمين، كان شاعرا، ومع ذلكِ يهجو المسلمين، ولكنه أسلم بعد ذلك، وحَسُنَ إسلامه، صفوان بن أمية ولد أمية بن خلف الذي كان يُعَذِّبُ بِلَالًا ؛ لأنه كان مولاه، لما كان في وقعة بدر، وأسره عبد الرحمن بن عوف ورآه بلال قال: أمية بن خلف !! لا نجوتُ إن نجا ! فاستدعي بعض الأنصار فقَتلوه، ولده صفوان أسلم بعد ذلك وهداه الله. سهيل بن عمرو كان نزيلا يمكة وهو من أهل الطائف من ثِقِيف ولكنه شرف في مكة وهو الذي حصل على يديه الصلح في صِلح الحديبية، ولكنه قبل ذلك كان رئيسا فيهم، وكانٍ يُؤَلِّبُ على المسلمين، وكان مِمَّنْ أَلَبَ عليهم يوم الأحزاب. فهؤلاء الثلاثة سُمُّوا في هذا الحديث، كلهم أسلموا هداهم الله تعالى، ودخلوا في الإسلام. سُهَيْلٌ كان بعد ذلك من المجاهدين بعد عهد النبي صلى الله عليه وسُلُم - في عهد أبّي بكر وعمر - كانِ قائدًا من القواد. وكذلك أبو سفيان كان أيضا يتولّى القيادة، وكان يجاهد في سبيل الله، فُقِئتْ عينه في سبيل الله، وجاهد، ثم فُقِئتْ عينِه الثانية أيضا. دَلَّ ذلك على أن الله تعالى هداهم. فِالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلِم لا يعلم الغِيب، فكان يدعو عليهم، ويلعنهم؛ لأنهم كانوا قد آذوا المؤمنين، فأيزل الله تعالى عتابا له هذه الآية: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرَ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَرِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ } الله تعالى هو أَعْلَمُ بهم، فقد يتوب عليهمً، وقد يُعَذِّبُهُم. فإنْ عَدَّبَهُمْ فإنهم ظالمون، وإن تاب عليهم فإن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده إذاً اهتدوا. في الآية عتاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وفيها دلالة على أنه ليس له من الأمر شيء، وإذا كان ليس له من الأمر شيء، فكيف يُدْعَى مع الله؟! وكيفَ يصرّف له شيء من حق الله؟!